بيوت المتقين

نشرة شهرية تهتم بالشؤون الدينية لمرتادي المساجد والحسينيات
السنة الثالثة

تصدر عن: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية/ وحدة المساجد والحسينيات
العدد (٢٧) لشهر ربيع الأول سنة ١٤٣٧هـ

- تزكية النفـــس
- الأسرة الخلية الأولى للمجتمع ج٣
- عبد الله بن بُديل الخزاعي

المسجد الأقصى

بيوت المتقين

إقرأ في هذا العدد

❖ وقفة فقهية:

أحكام الطهارة .. الحلقة السادسة ٦-٧

❖ محاسن الكلم:

الخير والشر في منظور أهل البيت عليهم السلام ١٠-١١

❖ مساجدنا

المسجد الأقصى ١٢-١٣

❖ عقائدنا

الإمامة .. الحلقة الثالثة عشر ١٦-١٧

❖ الأسرة والمجتمع

الإسلام دين تجمع وألفة ٢٢

www.alataba.net/vb
www.imamali.net
tableegh@imamali.net
قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ

من فضائل الإمام الباقر عليه السلام

روى ابن شهر آشوب بإسناده عن محمّدٍ بن سليمان: (ان ناصبيا شامياً كان يختلف الى مجلس أبي جعفر عليه السلام ويقول له: طاعة الله في بغضكم، ولكني أراك رجلا فصيحاً، فكان أبو جعفر يقول: لن تخفى على الله خافية. فمرض الشامي فلما ثقل قال لوليه: إذا أنت مددت علي الثوب فائت محمّد بن علي وسله أن يصلي علي، قال: فلما أن كان في بعض الليل ظنّوا أنه برد وسجّوه، فلما أن أصبح الناس خرج وليه الى أبي جعفر وحكى له ذلك فقال أبو جعفر: كلا ان بلاد الشام صرد، والحجاز بلاد حر، ولحمها شديد، فانطلق فلا تعجلن على صاحبكم حتى آتيكم. قال: ثم قام من مجلسه فجدد وضوءاً، ثم عاد فصلى ركعتين، ثم مد يده تلقاء وجهه ما شاء الله، ثم خرّ ساجداً حتى طلعت الشمس، ثم نهض فانتهى الى مجلس الشامي فدخل عليه فدعاه فأجابه، ثم أجلسه واسنده فدعا له بسويق فسقاه وقال: املأوا جوفه، وبردوا صدره بالطعام البارد، ثم انصرف وتبعه الشامي فقال: أشهد انك حجة الله على خلقه، قال: وما بدا لك؟ قال: أشهد أني عمدت بروحي وعاينت بعيني، فلم يتفاجأني الا ومناد ينادي: ردوا إليه روحه فقد كنا سألنا ذلك محمّد بن علي، فقال أبو جعفر: أما علمت أن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحب عمله، قال: فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر» مناقب بن شهر آشوب: ج٤ ص١٨٦..

روى الاربلي عن أبي عبد الله عليه السلام: «ان محمّد بن المنكدر كان يقول:ما كنت أرى أنّ مثل علي بن الحسين يدع خلفاً لفضل علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمّد بن علي، فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيت محمّدٍ ابن علي وكان رجلا بديناً وهو متكىء على غلامين له أسودين أو موليين له، فقلت في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا، أشهد لأعظنّه؟ فدنوت منه فسلمت عليه فسلم عليّ بنهر وقد تصبب عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال، قال: فخلى عن الغلامين من يده ثم تساند وقال: لو جاءني - والله - الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله، اكف بها نفسي عنك وعن الناس، وانما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني) (كشف الغمة للإربلّي: ج٢ ص١٢٥).

من كرامات الإمام الباقر عليه السلام

ما روى أبو عيينة قال: (كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل رجل فقال: أنا من أهل الشام أتولاكم وأبرأ من عدوكم، وأبي كان يتولى بني أمية، وكان له مال كثير، ولم يكن له ولد غيري، وكان مسكنه بالرملة، وكانت له جنينة. يتخلى فيها بنفسه، فلما مات طلبت المال فلم أظفر به، ولا أشك أنه دفنه وأخفاه مني قال أبو جعفر: أفتحب أن تراه وتسأله أين موضع ماله؟ قال: إي والله إني فقير محتاج. فكتب أبو جعفر كتابا وختمه بخاتمه، ثم قال: انطلق بهذا الكتاب الليلة إلى البقيع حتى تتوسطه، ثم تنادي: يا درجان يا درجان، فإنه يأتيك رجل معتم. فادفع إليه كتابي، وقل: أنا رسول محمد بن علي بن الحسين، فإنه يأتيك به، فاسأله عما بدا لك. فأخذ الرجل الكتاب وانطلق.

قال أبو عيينة: فلما كان من الغد أتيت أبا جعفر عليه السلام لأنظر ما حال الرجل، فإذا هو على الباب ينتظر أن يؤذن له، فأذن « له » فدخلنا جميعا، فقال الرجل: الله يعلم عند من يضع العلم، قد انطلقت البارحة، وفعلت ما أمرت، فأتاني الرجل فقال: لا تبرح من موضعك حتى آتيك به. فأتاني برجل أسود، فقال: هذا أبوك.

قلت: ما هو أبي. قال: «بل» غيره اللهب ودخان الجحيم والعذاب الأليم.

فقلت له: أنت أبي؟ قال: نعم.

قلت: فما غيرك عن صورتك وهيئتك؟

قال: يا بني كنت أتولى بني أمية وأفضلهم على أهل بيت النبي بعد النبي صلى الله عليه وآله فعذبني الله بذلك، وكنت أنت تتولاهم، فكنت أبغضك على ذلك، وحرمتك مالي فزويته عنك، وأنا اليوم على ذلك من النادمين، فانطلق يا بني إلى جنينتي فاحتفر تحت الزيتونة، وخذ المال (وهو مائة ألف وخمسون ألفا) فادفع إلى محمد بن علي عليه السلام خمسين ألفا، والباقي لك.

ثم قال: فأنا منطلق حتى آخذ المال وآتيك بمالك.) (الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج٢: ص٥٩٨).

ومنها: ما روى جابر الجعفي، قال: (خرجت مع أبي جعفر عليه السلام إلى الحج وأنا زميله، إذا أقبل ورشان فوقع على عضادتي محمله فترنم، فذهبت لآخذه فصاح بي: "مه يا جابر فإنه استجار بنا أهل البيت" قلت: وما الذي شكا إليك؟

فقال: شكا إلي أنه يفرخ في هذا الجبل منذ ثلاث سنين، وأن حية تأتيه فتأكل فراخه، فسألني "أن أدعو الله عليها ليقتلها" ففعلت، وقد قتلها الله.

ثم سرنا حتى إذا كان وقت السحر قال لي: "انزل يا جابر" فنزلت فأخذت بخطام الجمل، ونزل فتنحى يمنة عن الطريق، ثم عمد إلى روضة من الأرض ذات رمل فأقبل فكشف الرمل يمنة ويسرة وهو يقول: "اللهم اسقنا وطهرنا" إذا بدا حجر مرتفع أبيض بين الرمل فاقتلعه، فنبع له عين ماء أبيض صاف، فتوضأ وشربنا منه.

ثم ارتحلنا فأصبحنا دون قرية ونخل، فعمد أبو جعفر إلى نخلة يابسة فيها، فدنا منها وقال: "أيتها النخلة أطعمينا مما خلق الله فيك" فلقد رأيت النخلة تتحنى حتى جعلنا نتناول من ثمرها ونأكل، وإذا أعرابي يقول: ما رأيت ساحرا كاليوم. فقال أبو جعفر: يا أعرابي لا تكذبن علينا أهل البيت، فإنه ليس منا ساحر ولا كاهن، ولكنا علمنا أسماء من أسماء الله تعالى نسأل بها فنعطي، وندعو فنجاب) (الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج٢: ص٦٠٤).

أحكام الطهارة

وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى
السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)

الحلقة السادسة

أحكام النجاسة:

هناك جملة من الأحكام ترتبط بالنجاسات ذكرها الفقهاء نذكر فيما يلي جملة منها:

الحكم الأول: الطهارة شرط في موضع السجود:

يشترط في صحة الصلاة طهارة موضع السجود بمعنى أن الشئ الذي يسجد عليه المصلي من تراب أو ورق أو خشب أو غير ذلك يجب أن يكون الحد الأدنى الذي يُكتفى بالسجود عليه وإصابة الجبهة له طاهرا، ولا يلزم أن يكون كل التراب أو كل الخشبة طاهرا، وهنا ينبغي التنبيه على أمور:

١- لا تضر نجاسة مواضع الأعضاء الأخرى للسجود غير الجبهة إذا كانت نجاستها غير مسرية إلى بدن المصلي أو ثيابه أو كانت مسرية ولكنها مما يعفى عنها في الصلاة.

٢- لا يشترط طهارة محل السجود في سجود التلاوة.

الحكم الثاني: الطهارة شرط في الصلاة

يشترط في صحة الصلاة - الواجبة والمستحبة- وصلاة الاحتياط وكذلك في الأجزاء المنسية من الصلاة طهارة بدن المصلي وتوابعه من شعره وظفره ونحوهما، وطهارة ثيابه حتى غير ما يستر العورة، وينبغي التنبيه هنا على جملة من الأمور:

١- لا تشترط الطهارة في صحة سجدتي السهو والتعقيب بعد الصلاة والأذان والإقامة قبلها وهكذا الصلاة على الميت.

٢- ما يتغطى به المصلي المضطجع العاجز عن القيام إن كان متدثراً به بحيث يصدق عرفاً أنه لباسه وجب أن يكون طاهراً وإلا فلا.

٣- لا فرق -على الأحوط لزوماً - في بطلان الصلاة لنجاسة البدن أو اللباس أو مسجد الجبهة بين كون المصلّي عالماً بشرطية الطهارة للصلاة وبأن الشيء الكذائي -كالخمر مثلاً - نجس، وبين كونه جاهلاً بذلك عن تقصير بأن لا يكون معذوراً في جهله، وأما إذا كان جاهلاً قاصراً فتصح صلاته، والجاهل القاصر هو المعذور في جهله كما لو وثق بمن أخبره بالحكم ثم تبين الخلاف.

٤- إذا كان جاهلاً بالنجاسة ولم يعلم بها حتى فرغ من صلاته فلا إعادة عليه في الوقت ولا القضاء في خارجه، هذا إذا لم يكن شاكاً في النجاسة قبل الدخول في الصلاة أو شك وفحص ولم يحصل له العلم بها، وأما من شك بالنجاسة ولم يفحص فتلزمه - على الأحوط لزوماً - الإعادة في الوقت والقضاء في خارجه إذا وجدها بعد الصلاة.

٥- إذا علم بالنجاسة في أثناء الصلاة وعلم بسبق حدوثها على الدخول في الصلاة فإن كان الوقت واسعاً فالأحوط وجوباً استئنافُها، وإن كان الوقت ضيقاً حتى عن إدراك ركعة، فإن استطاع وهو في الصلاة أن يطهّر النجاسة أو يبدّل الثوب المتنجس أو ينزعه إذا كان عليه ساتر سواه من غير أن يأتي بما ينافي الصلاة وجب عليه أن يفعل ذلك ويتم صلاته وكانت صحيحة، وإن لم يمكنه ذلك أكمل صلاته فيه، والأحوط استحباباً القضاء بعد ذلك أيضاً.

٦- إذا علم بالنجاسة في أثناء الصلاة

واحتمل حدوثها بعد الدخول فيها فإن أمكن التجنب عنها بالتطهير أو التبديل أو النزع على وجه لا ينافي الصلاة فعل ذلك وأتم صلاته ولا إعادة عليه، وإذا لم يمكن ذلك فإن كان الوقت واسعاً فالأحوط وجوباً استئناف الصلاة بالطهارة، وإن كان ضيقاً أتمّها مع النجاسة ولا شيء عليه.

٧- إذا علم بنجاسة البدن أو اللباس فنسيها وصلى، فإن كان نسيانه ناشئاً عن الإهمال وعدم التحفظ فالأحوط لزوماً أن يعيد الصلاة، سواء أتذكر في أثنائها أم بعد الفراغ منها، وهكذا لو تذكر بعد مضي الوقت، وأما إذا لم يكن منشأ نسيانه الإهمال فحكمه حكم الجاهل بالموضوع وقد تقدم في النقطة الرابعة.

٨- إذا غسل ثوبه النجس وصلى فيه مطمئناً بطهارته ثم تبين أن النجاسة باقية فيه لم تجب الإعادة ولا القضاء لأنه كان جاهلاً بالنجاسة.

٩- إذا لم يجد إلا ثوباً نجساً فإن لم يمكن نزعه لبرد أو نحوه صلى فيه ولا يجب عليه القضاء، وكذلك إن أمكن نزعه وإن كان الأحوط استحباباً الجمع بين الصلاة فيه والصلاة عارياً.

فيما يعفى عنه في الصلاة من النجاسات

وهو أمور:

الأول: لا بأس بنجاسة البدن والثياب من دم الجروح والقروح قبل البرء، ولا يُشترط ترتب المشقة النوعية على الإزالة أو التبديل وإن كان الأحوط استحباباً اشتراطه، ولكن يُشترط في الجرح أن يكون مما يُعتد به وله ثبات واستقرار وأما الجروح الجزئية فيلزم تطهيرها إذا زاد الدم على الدرهم كما سيأتي.

الثاني: تجوز الصلاة مع تلطخ البدن أو الثوب بالدم إذا كان مقداره أقل من عقدة الإبهام، ويستثنى من ذلك دم الحيض، ويلحق به على الأحوط لزوماً دم نجس العين والميتة والسباع بل مطلق غير مأكول اللحم، ودم النفاس والاستحاضة فلا يعفى عن قليلها أيضاً، ولا يلحق المتنجس بالدم به في الحكم المذكور.

الثالث: لا بأس بنجاسة ما لا يكفي وحده أن يكون ساتراً للعورة كالجورب والقبعة والخاتم والخلخال، والسوار ونحوها، بشرط أن لا يكون متخذاً من الميتة النجسة ولا من نجس العين كالكلب على الأحوط وجوبا.

الرابع: لا بأس بحمل المتنجس في حال الصلاة كأن يوضع في الجيب،حتى فيما كان مما تتم فيه الصلاة، فضلاً عما إذا كان مما لا تتم به الصلاة كالساعة الجيبية والدراهم والسكين والمنديل الصغير ونحوها.

الخامس: كل نجاسة في البدن أو الثوب في حال الاضطرار، بأن لا يتمكن من تطهير بدنه أو تحصيل ثوب طاهر للصلاة فيه ولو لكون ذلك حرجياً عليه، فيجوز له حينئذٍ أن يصلي مع النجاسة وإن كان ذلك في سعة الوقت، إلا أن الجواز في هذه الصورة يختص بما إذا لم يحرز التمكن من إزالة النجاسة قبل انقضاء الوقت أو كون المبرر للصلاة معها هو التقية، وإلا فيجب الانتظار إلى حين التمكن من إزالتها.

نكتفي بهذا المقدار من أحكام النجاسة ونكمل باقي الأحكام في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

تـزكية النفس

قوله تعالى:(قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها)

الفلاح هو الظفر بالمطلوب وإدراك البغية، والخيبة خلافه، والزكاة نمو النبات نموا صالحا ذا بركة والتزكية إنماؤه كذلك، وورد عن علي (عليه السلام) قوله: (المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق) نهج البلاغة: ج٤، ص٣٦ ، " فالزكاة " في الأصل بمعنى النمو والبركة، ثم استعملت الكلمة بمعنى التطهير، وقد يعود ذلك إلى أن التطهير من الآثام يؤدي إلى النمو والبركة ، والآية الكريمة تحتمل المعنيين .

والمسألة الأساسية في حياة الإنسان هي هذه " التزكية " ، فإن حصلت سعد الإنسان وإلا شقى وكان من البائسين، والفلاح لا يكون إلا لمن ربى نفسه ونماها، وطهرها من التلوث بالخصال الشيطانية وبالذنوب والكفر والعصيان .

ثم يعرج السياق القرآني على المجموعة المخالفة فيقول : (وقد خاب من دساها) .

" خاب " : من الخيبة، وهي فوت الطلب، كما يقول الراغب في المفردات والحرمان والخسران .

" دساها " من مادة " دس " وهي في الأصل بمعنى إدخال الشيء قسرا ، وجاء في الآية (٥٩) من سورة النحل قوله سبحانه : (أم يدسه في التراب) ، إشارة إلى عادة الجاهليين في وأد البنات ، أي إدخالهن في التراب كرها وقسرا ومنه " الدسيسة " التي تقال للأعمال الخفية والضارة .

وما هي المناسبة بين معنى الدس، وقوله سبحانه : (وقد خاب من دساها) ؟

قيل : إن هذا التعبير كناية عن الفسق والذنوب ، فأهل التقوى والصلاح يظهرون أنفسهم، بينما المذنبون يخفونها، ويذكر أن العرب الكرماء جرت عادتهم على نصب خيامهم على المرتفعات، وإشعال النيران قربها في الليل، لتكون بادية للمارة ليل نهار، بينما أهل البخل واللؤم يقبعون في المنخفضات كي لا يأتيهم أحد .

وقيل : إن المقصود اندساس المذنبين بين صفوف الصالحين .

وقيل : إن المذنب يدس نفسه أو هويته الإنسانية في المعاصي والذنوب .

وقيل : إنه يخفي المعاصي والذنوب في نفسه .

والتعبير - على كل حال - كناية عن التلوث بالذنوب والمعاصي والخصائل الشيطانية، وبذلك يقع في المنطقة المقابلة للتزكية، والآية تحتمل في مفهومها الواسع كل هذه المعاني .

وبهذا المعيار يتم تمييز الفائزين عن الفاشلين في ساحة الحياة .

" تزكية النفس وتنميتها بروح التقوى وطاعة الله " أو " تلوثها بأنواع المعاصي والذنوب " .

الإمامان الباقر والصادق (عليهما السلام) قالا في تفسير الآية الكريمة : (قد أفلح من أطاع وخاب من عصى) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٨

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال حين تلا الآية: " اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وزكها أنت خير من زكاها " (مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٨) .

وهذا الحديث يدل على أن اجتياز عقبات المسيرة الحياتية لا يتيسر إلا بتوفيق الله تعالى، أي لا يتيسر إلا بعزم العبد وتأييد الباري، ولذلك ورد في حديث آخر عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في تفسير الآيتين قوله : (أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير) الدر المنثور ، ج٦ ، ص ٣٥٧

وينبغي الالتفات أن التعبير بالتزكية والتدسي عن إصلاح النفس وإفسادها مبتن على ما يدل عليه قوله :(فألهمها فجورها وتقواها)، فمقتضى إفاضة النعم المذكورة في الآيات السابقة وإنارة الروح بإلهام الفجور والتقوى هو المشي على درب الطاعة ، وتزكية النفس دون الولوج في طريق الفجور وإخفاء الدسائس الشيطانية .

على أن من كمال النفس الإنسانية أنها ملهمة مميزة - بحسب فطرتها - للفجور من التقوى أي أن الدين وهو الإسلام لله فيما يريده فطري للنفس فتحلية النفس بالتقوى تزكية وانماء صالح وتزويد لها بما يمدها في بقائها قال تعالى :" وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الألباب " البقرة : ١٩٧ وأمرها في الفجور على خلاف التقوى . الأمثل: ج٢٠، ص٢٣٩

أهمية تهذيب النفس

جاء التركيز في الآيات الشريفة على أن النجاح والفلاح في تزكية النفس، وأن الخيبة والخسران في ترك التزكية .

وهذه في الواقع أهم مسألة في حياة الإنسان ، والقرآن الكريم إذ يطرح هذه الحقيقة إنما يؤكد على أن فلاح الإنسان لا يتوقف على الأوهام ولا على جمع المال والمتاع ونيل المنصب والمقام ، ولا على أعمال أشخاص آخرين (كما هو معروف في المسيحية بشأن ارتباط فلاح الإنسان بتضحية السيد المسيح) . . . بل الفلاح يرتبط بتزكية النفس وتطهيرها وسموها في ظل الإيمان والعمل الصالح .

وشقاء الإنسان ليس أيضا وليد قضاء وقدر وبالإجبار ، ولا نتيجة مصير مرسوم ، ولا بسبب فعل هذا وذاك ، بل هو فقط بسبب التلوث بالذنوب والانحراف عن مسير التقوى .

وفي الأثر أن زوجة العزيز (زليخا) قالت ليوسف لما أصبح حاكم مصر: " إن الحرص والشهوة تصير الملوك عبيدا، وأن الصبر والتقوى يصير العبيد ملوكا، فقال يوسف: قال الله تعالى: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين). (المحجة البيضاء، ج ٥ ، ص ١١٦) .

وعنها أيضا قالت لما رأت موكب يوسف مارا من أمامها :" الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيدا، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكا " (المحجة البيضاء ، ج ٥، ص ١١٧) نعم ، عبادة النفس تؤدي إلى وقوع الإنسان في أغلال الرقية بينما تزكية النفس توفر أسباب التحكم في الكون .

ما أكثر الذين وصلوا بعبوديتهم لله تعالى درجة جعلتهم أصحاب ولاية تكوينية ، ومكنتهم بإذن الله أن يؤثّروا في حوادث هذا العالم وأن تصدر منهم الكرامات وخوارق العادات ! !

إلهي ! أعنا على أنفسنا وعلى كبح جماح أهوائنا . إلهي ! لقد ألهمتنا " الفجور " و " التقوى " فوفقنا للاستفادة من هذا الإلهام.

إلهي ! دسائس الشيطان خفية غامضة في نفس الإنسان ، فوفقنا لمعرفتها . آمين يا رب العالمين. (الأمثل: ج٢٠، ص٢٤٨)

الخَيرِ والشرِّ في منظور أهل البيت (عليهم السلام)

من كتاب الكافي

١- عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ: أَنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُحِبُّ فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ وَأَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الشَّرَّ وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُرِيدُهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ).

الشرح:

عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ: أَنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) إشارة إلى التوحيد في الذات والصفات (خَلَقْتُ الْخَلْقَ) إشارة إلى التوحيد في كونه مبدأ لجميع المخلوقات مع احتمال أن يراد بالخلق: الخلق القابل للخير والشر بقرينة المقام (وخَلَقْتُ الْخَيْرَ وأَجْرَيْتُه عَلى يَدَيْ مَنْ أحبُّ فَطُوبى لِمَنْ أَجْرَيْتُه عَلى يَدَيْه) طوبى من الطيب والواو منقلبة عن الياء لانضمام ما قبلها وقيل: هي اسم شجرة في الجنة وعلى التقديرين فهو مبتدأ والمعنى: له طيب العيش أو له الجنة، لأنها تستلزم طيبه (وأَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ وخَلَقْتُ الشَّرَّ وَأَجْرَيْتُه عَلَى يَدَيْ مَنْ أُرِيدُه) أي من أريد إجراءه على يديه (فَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُه عَلَى يَدَيْه)، هذا الحديث دل بحسب الظاهر على الجبر كما هو مذهب الأشاعرة القائلين بأنه تعالى هو الخالق الموجد أفعال العباد كلها ولا من أوامره، ومعنى الثاني أنه تعالى خالق الجنة والنار.

أو نقول: المراد بخلق الخير والشر تقديرهما والخلق كما جاء في اللغة بمعنى الإيجاد جاء أيضاً بمعنى التقدير، والله سبحانه هو المقدر لجميع الأشياء والمبين لحدودها ونهاياتها حتى الخير والشر، ومعنى إجرائهما ما عرفت. وكل ذلك بإرادته سبحانه للأشياء والأفعال وعدم خروج فعل الإنسان عن محيط علمه وإرادته فهذا مما يثبته القرآن الكريم بوضوح، فمن حاول أن يخرج فعل الإنسان من حيطة إرادته فقد خالف البرهان أولا، وخالف نص القرآن ثانيا، إذ كيف يمكن أن يقع في سلطانه ما لا يريد؟ ولذلك يقول سبحانه: إن الإنسان لا يشاء شيئا إلا ما شاء الله، وأن إيمان كل نفس بإذنه ومشيئته، وإن كل فعل خطير وحقير لا يتحقق إلا بإذنه.

يقول سبحانه: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) سورة التكوير: آية٢٩، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ) سورة يونس: آية١٠٠، وقال جل وعلا: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) سورة الحشر: آية٥.

وهذه الآيات الناصعة صريحة في عدم خروج فعل الإنسان عن مجاري إرادته سبحانه، وقد أكدت ما نزل به الوحي، الروايات المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وبما أن خروج فعل الإنسان عن حيطة إرادته ومشيئته يستلزم تحديد إرادته، يقول النبي (صلى الله عليه وآله) في رد تلك المزعمة: (من زعم أن الله تبارك وتعالى يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشية الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار) (التوحيد: ص٣٥٩).

وبما أن خروج أفعال الإنسان عن حيطة إرادته يستلزم تحديدا في سلطانه، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد) الكافي: ج١، ص١٦٠.

وقد ورد في الحديث القدسي قوله: (يا ابن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد) التوحيد: ص٣٤٠.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) الكافي: ج١، ص١٤٩.

> قال النبي (صلى الله عليه وآله): (من زعم أن الله تبارك وتعالى يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشية الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار)

ولا يليق لموحد أن يشك في سعة إرادته وتعلقه بكل ما كان وما هو كائن وما يكون إلا أن اللازم هو إمعان النظر في متعلقها، فهل تعلق بأصل صدور الفعل عن الإنسان، أو تعلق بصدوره عنه بقيد الاختيار، والأول لا يفارق الجبر، والثاني نفس الاختيار والعدل، وعند ذلك لا تكون سعة إرادته ذريعة لتوهم الجبر وخلاف العدل.

٢- عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ - فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ).

الشرح:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) كالجبرية القائلين: بأَنَّ جميع الفواحش والشرور الدَّاخلية في الوجود من الشرك والظلم والزِّنَاء والسرقة والقتل وغيرها مرادة لله تعالى وهو يرضى بها ويحبّها ويأمر بها (فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) في قوله: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) سورة الأعراف: آية٢٨، وفي قوله: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) سورة غافر: آية٣١، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، ومن اعتقد ما يلزم منه تكذيب القرآن فقد كفر وارتدّ وخرج عن دين الإسلام (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَيْهِ)، أي مستندان إليه وهو فاعلهما (فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ)، لأنّه تعالى في آيات كثيرة نسب الخير والشرَّ من أعمال العباد إليهم، فمَنْ قال بخلاف ذلك فقد كذب على الله (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) سورة الزمر: آية٦٠.

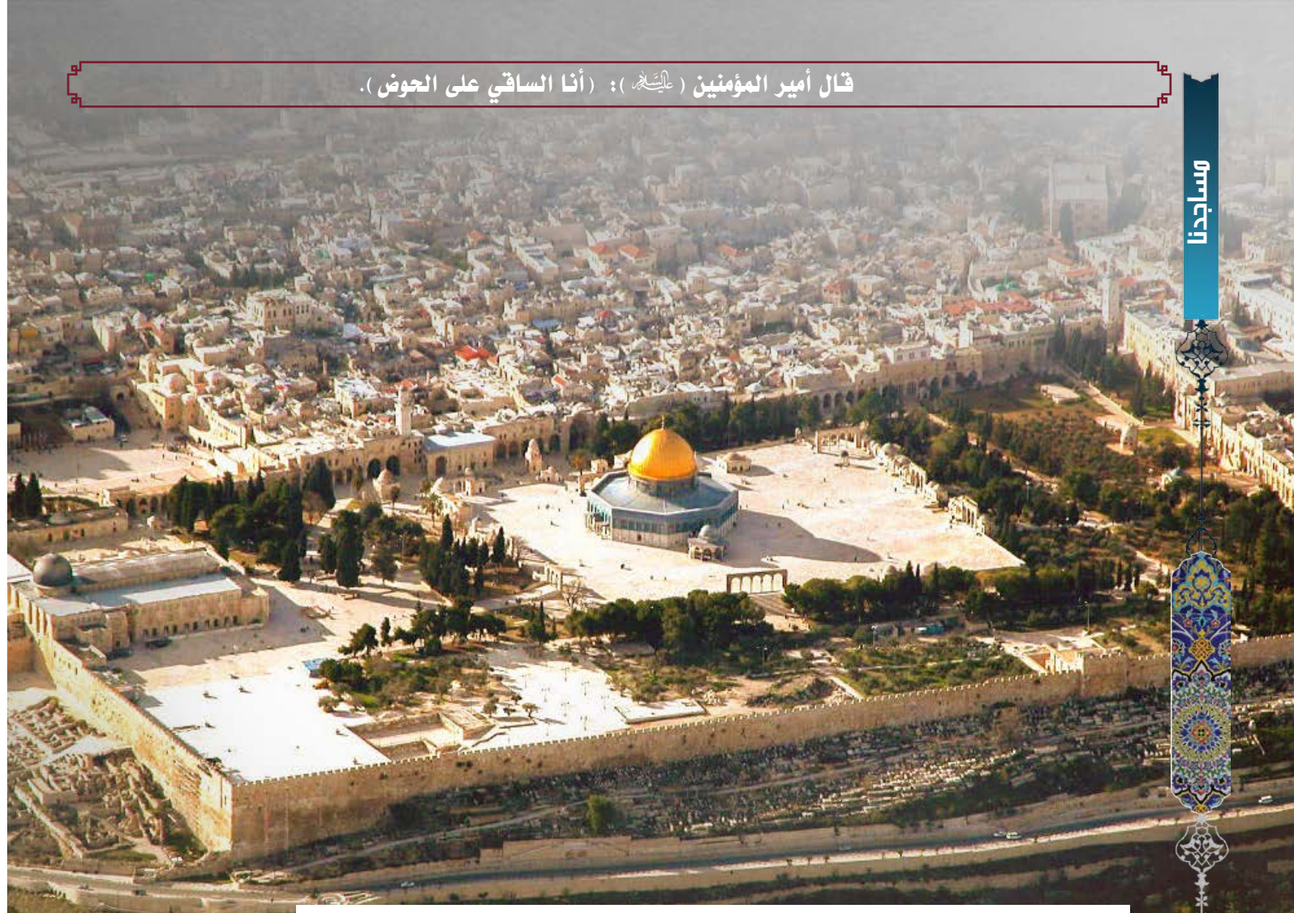

المسجد الأقصى

مكانة المسجد الأقصى من الناحية الدينية

المسجد الأقصى موجود في أرض القداسة والبركة، هذه الأرض لا تذكر في كتاب الله إلا مقرونة بوصف البركة أو القداسة، قال تعالى عن المسجد الأقصى: "إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" (الإسراء: من الآية١)، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة..." (المائدة: من الآية٢١).

ومن بركات هذا المسجد مضاعفة الأجر للمصلي فيه، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة..) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج١، ص٢٣٣

ومما يدل على كثرة بركاته أن بركته تفيض على ما حوله، ولا تقتصر عليه فقط، حسبما تشير الآية: "باركنا حوله"

ولقد كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين لمدة ١٤ عاما تقريبا منذ بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى الشهر السادس أو السابع عشر للهجرة، فقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعدها هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا ثم توجه إلى الكعبة.

والأقصى هو مسرى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)كما ورد في الآية الكريمة باسمه الصريح: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"، فالأقصى هو مبدأ معراج النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السماء، وقد كان الله تعالى قادرا على أن يبدأ رحلة المعراج برسوله من المسجد الحرام بمكة، ولكنه سبحانه اختار الأقصى لذلك ليثبت مكانته في قلوب المسلمين، كبوابة الأرض إلى السماء.

ما هو المسجد الأقصى؟

الأقصى هو كل الساحة المسورة:

عندما نقول (المسجد الأقصى المبارك) تختلط الأمور في أذهان المسلمين، فمنهم من يعتبر أن الأقصى هو ذلك البناء ذي القبة الذهبية، والبعض الآخر يظن أن الأقصى المبارك هو ذلك البناء ذي القبة الرمادية السوداء، ولكن مفهوم الأقصى المبارك الحقيقي أوسع من هذا وذاك، فان المسجد الأقصى هو كل الساحة المسوّرة، وما القبة الذهبية على الصخرة والجامع القِبْلي إلا جزء من المسجد الأقصى.

موقع المسجد الأقصى:

يقع المسجد الأقصى المبارك على تلة في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس القديمة المسورة (البلدة القديمة) والتي تقع في شرقي القدس في الضفة الغربية، والمسجد الأقصى له سور أيضاً وهو على شكل مضلع غير منتظم مساحته حوالي (١٤٤ كم متر مربع).

أهم المعالم في المسجد الأقصى:

يضم المسجد الأقصى جملة من الأماكن المقدسة:

منها: قبّة الصخرة المشرّفة، (ذات القبة الذهبية) والموجودة في موقع القلب بالنسبة للمسجد الأقصى (ويستخدم الآن كمصلى للنساء يوم الجمعة).

ومنها: المسجد القِبْلي (المسجد الجنوبي أو مبنى المسجَد الأقصى)، ذي القبة الرمادية السوداء، والواقع أقصى جنوب المسجد الأقصى، ناحية (القبلة).

فضلاً عن نحو ٢٠٠ معلم آخر، ما بين مساجد، ومبان، وقباب، وسبل مياه، ومصاطب، وأروقة، ومدارس، وأشجار، ومحاريب، ومنابر، ومآذن، وأبواب، وآبار، ومكتبات وساحات، ومكاتب لدائرة الأوقاف، ودور القرآن والحديث، وغرف لأئمة المسجدين الكبيرين، وحراس المسجد الأقصى، ومخفر الشرطة.

من الجدير بالذكر أنه لم يطرأ أي تغيير على حجم مساحة المسجد الأقصى عبر فترات التاريخ الإسلامي المتعاقبة وحتى يومنا هذا وقد حفظ الله تعالى حدود هذا المسجد فلم يتعداه أحد من الناس إلى أن قام الأيوبيون والمماليك بترسيخ الحدود وأكملوا سور المسجد الأقصى كما نراه اليوم.

من بنى المسجد الأقصى؟ ومتى بني؟

يقال إن آدم عليه السلام أول من خط حدود المسجد الأقصى، وقد ورد في بعض الروايات أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض، فعن أبي ذر قلت: يا رسول الله ! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، قال: ثم حيثما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٤، ص٩٨.

كما تتابعت عمليات البناء والتعمير على المسجد الحرام، تتابعت على الأقصى المبارك، فقد عمّره ورمّمه سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم تولى المهمة أبناؤه إسحاق ويعقوب عليهما السلام من بعده، كما جدد النبي سليمان عليه السلام بناءه وتذكر بعض الروايات أن داود بدأ بناءه وأكمله سليمان عليه السلام.

لذلك الكثير من معالم المسجد الأقصى المبارك، خاصة الجدار والأبواب موغلة في القدم، أما المعالم الحالية للمسجد الأقصى مثل المسجد القِبْلي وقبة الصخرة وغيرها فهي من بناء المسلمين بعد الفتح الإسلامي.

الجامع القِبْلي ذو القبة الرمادية:

بعد الفتح الإسلامي للقدس عام ٦٣٦م، (الموافق ١٥ للهجرة)، بُني مسجد في صدر المسجد الأقصى المبارك في موضع يعتقد أنه نفس الموضع الذي يقوم عليه الآن الجامع القِبْلي(المصلى الرئيسي حالياً في المسَجد الأقصى المبارك)، وامتاز بناؤه آنذاك بالبساطة المتناهية، وعلى ما يبدو أن هذا المسجد لم يصمد طويلاً أمام تقلبات العوامل الطبيعية المؤثرة وذلك لبساطة إنشائه.

وفي عهد الأمويين، بُنيت قبة الصخرة، وأعيد بناء الجامع القِبْلي، واستغرق هذا كله قرابة ٣٠ عاما من ٦٦ - ٩٦ هجرية.

وفي العهود اللاحقة، اعتنى المسلمون بإعمار المسجد الأقصى المبارك، وترميمه، والبناء فيه حتى اكتمل بشكله الحالي.

ما هو مسجد قبة الصخرة؟ ولماذا يظهر كثيرا في الإعلام؟

مسجد قبة الصخرة يمثل جزء من المسجد الأقصى المبارك، وتقع في موضع القلب منه تقريبا، أقامها الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان بين عامي ٦٦-٨٦ هـ / ٦٨٥-٧٠٥م على شكل قبة ذهبية عظيمة فوق أعلى صخرة في المسجد الأقصى المبارك، وتقوم على مبنى مثمن الشكل.

تحت هذه القبة تقع صخرة طبيعية غير منتظمة الشكل، وتتميز بأنها كانت قبلة أنبياء بني إسرائيل وقبلة المسلمين حتى تم تغيير القبلة إلى مكة المكرمة، ويقال أنها الموضع الذي عرج منه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السماء .

يظهر المسجد كثيراً في الإعلام لأن منظر القبة الذهبي مميز ويلفت الانتباه فكأنه رمز للمسجد الأقصى، ولكن المشكلة أن الكثير من المسلمين اعتقد أن هذا المبنى هو فقط المسجد الأقصى وهذا خطأ كما بينا .

فالمسجد الذي هو موضع الصلاة، ليس هو قبة الصخرة، لكن لانتشار صورة القبة، يظن كثير من المسلمين حين يرونها أنها المسجد، والواقع ليس كذلك، وقديما كان اسم المسجد الأقصى يطلق على الساحة كلها واكتفاء المسلمين بصورة القبة، قد يكون راجعا لحسن عمارة هذه القبة وجمال هيئتها، وهذا لا يعفيهم من الخطأ الذي نشأ عنه عدم التمييز بين المسجد وما حوله وقد يكون هذا من مكر اليهود وكيدهم، لتعظيمهم الصخرة وتوجههم إليها، وقد يكون إظهار الصخرة ليتم لهم مرادهم بإقامة هيكل سليمان المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، وذلك ليظن المسلمون بأن المسجد الأقصى هو قبة الصخرة، فإذا قام اليهود بهدم المسجد الأقصى وأنكر عليها المسلمون قالوا لهم ها هو المسجد الأقصى على حاله، فيُظهرون صورة قبة الصخرة، فيكونون بذلك قد حققوا أهدافهم، وسلموا من انتقاد المسلمين.

آداب التعامل بين الزوجين

الحلقة الثانية

آداب تعامل الزوج مع الزوجة:

إن أداء الحق الزوجي لوحده غير كاف للوصول إلى أرقى مستويات العلاقة الوطيدة بين الطرفين طالما لم يتحلّ كلّ منهما بالآداب الإسلامية البيتية، والعلة في ذلك أن مراعاة الآداب يلعب دوراً هاماً في تنمية عوامل المودة والاستمرار ويثمر في شتّى مجالات الحياة الزوجية ليبلغ بها أجمل صورة ممكن أن تكون عليها، وقد أعدّ الله تعالى على تلك الآداب ثواباً جزيلاً وحثّ على الالتزام بها، وقد تعرفنا في الحلقة الأولى على آداب الزوجة مع زوجها، ونتحدث في هذه الحلقة عن آداب الزوج مع زوجته.

أولاً- إطعامها بيده: عن النبي ﷺ: (إن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته) (المحجة البيضاء: ج٣، ص٧٠).

ثانياً- الجلوس معها: عن النبي ﷺ: (جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا) (تنبيه الخواطر: ج٢، ص١٢٢).

ثالثاً- خدمة البيت معها:

ويكفيك شاهداً ما جرى في بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) حيث روي عن علي عليه السلام قوله: (دخل علينا رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر وأنا أنقّي العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: اسمع، وما أقول إلا ما أمر ربي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه، عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين، وداود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا علي من كان في خدمة عياله في البيت ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب الله له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة، وأعطاه الله تعالى بكل عرق في جسده مدينة في الجنة. يا علي، ساعة في خدمة البيت، خير من عبادة ألف سنة، وألف حج، وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة، وألف غزوة، وألف مريض عاده، وألف جمعة، وألف جنازة، وألف جائع يشبعهم، وألف عار يكسوهم، وألف فرس يوجهه في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدق بها على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن ألف أسير اشتراها فأعتقها، وخير له من ألف بدنة يعطي للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة.

يا علي، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب، يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر، ويطفئ غضب الرب، ومهور حور العين، ويزيد في الحسنات والدرجات، يا علي، لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة) (مستدرك الوسائل: ج١٣، ص٤٢).

رابعاً- الصبر على سوء خلقها:

في الحديث: (من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله تعالى بكل يوم وليلة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج) (ثواب الأعمال: ج١، ص٣٣٩).

خامساً- أن يوسع عليها في النفقة ما دام قادراً لكن لا يبلغ حد الإسراف: يقول زين العابدين عليه السلام: (إن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله) (البحار: ج٧٨، ص١٣٦).

سادساً- التجاوز عن عثراتها:

من الممكن أن تخطئ المرأة كما الرجل فلا يكون ذلك مدعاة للعنف معها وإلحاق الأذية بها بل على العكس تماماً فليكن لما هو أقرب للتقوى من العفو والرحمة وإقالة العثرة فقد ورد عن إسحاق بن عمار قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسنا؟ قال: يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها) (الكافي: ج٥، ص٥١٠)، وإلا فإن الوقوف عند كل صغيرة لا يمكن أن تستمر معه الحياة الزوجية وتستقر به العشرة، خصوصاً مع التوصية الواردة في حقّها حيث قال رسول الله ﷺ: (أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة بيّنة) (الوسائل: ج٧، ص١٢١).

قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن قلت لبيك يا رسول الله قال: اسمع، وما أقول إلا ما أمر ربي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه، عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين

سابعاً- استمالة قلبها:

وهي تتم بأمور:

أولاً: التجمّل لها وابداء الهيئة الحسنة في عينها حيث يؤكد الإسلام على التنظيف والأناقة وتزين الزوج لزوجته بما يتناسب معها وترضاه كما أن عليها ذلك في قباله، فعن الحسن بن جهم أنه قال: (رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب فقلت: جعلت فداك اختضبت؟ فقال عليه السلام: نعم إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهن التهيئة ثم قال: أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا قال: فهو ذاك) (الكافي: ج٥، ص٥٦٧).

ثانياً: التوسعة عليها بالنفقة.

ثالثاً: المعاشرة الجميلة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها وتوسعته عليها) (مستدرك سفينة البحار: ج٤، ص٣٤٣)، والحديث جامع للأمور الثلاثة.

رابعاً: خطاب المودّة حيث يقول النبي ﷺ: (قول الرجل للمرأة إني أحبّك لا يذهب من قلبها أبداً) (الكافي: ج٥، ص٥٦٩).

وبالإمكان في ختام تعداد هذه الحقوق أن نضع ميزاناً توزن به الشخصية المؤمنة عبر أدائها للحقوق المفروضة أو التقصير بها وبالخصوص مع الالتفات إلى قول رسول الله ﷺ: (ألا خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي) (وسائل الشيعة: ج٢٠، ص١٧١).

وفي رواية أخرى: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) (وسائل الشيعة: ج٢٠، ص١٧١).

الإمامة
الحلقة الثالثة عشرة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم الى قيام يوم الدين.

لا زال الكلام حول النصوص التي وردت على لسان النبي(صلى الله عليه وآله) الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) دون سواه من سائر الصحابة، الذين لم يرد نص صريح في حقهم يؤهلهم للتصدي للحق الإلهي خلافة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) بل على العكس من ذلك وردت نصوص تظهر بشكل وآخر عدم أهليتهم وكفاءتهم لبعض المهام الصغيرة فضلا عن الخطيرة.

وقد ذكرنا في الحلقات السابقة جملة من النصوص الدالة على إمامته(عليه السلام)، وفي هذه الحلقة نتعرض الى نص آخر نطق به سيد الكائنات(صلى الله عليه وآله)، وهو حديث: (لا يحبّك إلّا مؤمن...). وقد استدل علماؤنا بهذا الحديث، ومنهم: العلامة الحلي (قدس سره) في كتابه نهج الحقّ / ٢١٩، حيث قال: في مسند أحمد بن حنبل ، وهو مذكـــور في « الجمع بين الصحيحين» ، وفي « الجمع بين الصحاح السِّتّة » ، أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : (لا يحبّك إلّا مؤمن ، ولا يبغضك إلّا منافق).

وجه الاستدلال: نجد أن هذا المعنى-حب الإمام علي(عليه السلام) إيمان وبغضه نفاق-قد تناولته عدة من الآيات الكريمة، كما هو الحال عند تفسيرهم الآية(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ): سورة محمّد: ٣٠. فقد ذَكر الشيخ المظفر في دلائل الصدق: ج٥/ص١٥، حيث قال: : قوله تعالى : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) روى الجمهور ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : ببغضهم عليّا (عليه السلام). ثم قال الشيخ: وأقول : ذكره السيوطي في تفسيره « الدرّ المنثور » ، ونقله عن ابن مردويه ، وابن عساكر ، عن أبي سعيد. ونقله المصنّف (ره)- العلامة الحلي(قدس سره)- في « منهاج الكرامة »، عن أبي نعيم ، عن أبي سعيد أيضا. وقال السيوطي أيضا : أخرج ابن مردويه ، عن ابن مسعود ، قال : ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب. أقول : وروى الترمذي في فضائل عليّ (عليه السلام) ، عن أبي سعيد ، قال :« إنّا كنّا لنعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّ بن أبي طالب». وروى أيضا ، عن أمّ سلمة ، قالت : « كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « لا يحبّ عليّا منافق ، ولا يبغضه مؤمن». وروى مسلم ، عن عليّ (عليه السلام) ، قال : « والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، « إنّه » لعهد النبيّ الأمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن ، ولا يبغضني إلّا منافق ». ونحوه في « سنن النسائي » ، في علامة الإيمان من كتاب الإيمان. ورواه بسند آخر في علامة النفاق. وأيضا نحوه في « سنن الترمذي » ، في فضائل عليّ (عليه السلام) . وكذا في « كنز العمّال » في فضائل عليّ ، عن الحميدي ، وابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل ، والعدني ، وابن ماجة ، وابن حبّان ، وأبي نعيم في « الحلية » ، وابن أبي عاصم في « السنّة». وروى الحاكم في « المستدرك»، في مناقب

أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن أبي ذرّ ، قال : « ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله ، والتخلّف عن الصلوات ، والبغض لعليّ بن أبي طالب». ثمّ قال: « هذا حديث صحيح على شـــرط مسـلم». ونقـــله في « كنز العمّال » في فضائل عليّ ، عن الخطيب في « المتّفق ». ونقل ابن حجر في « الصواعق » ، في المقصد الثالث من المقاصد المتعلّقة بآية القربى، عن أحمد والترمذي ، عن جابر : « ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم عليّا». والحصر في هذا الحديث ونحوه بلحاظ أنّ المنافق يتستّر بجميع علائم النفاق إلّا ببغض عليّ (عليه السلام) ؛ لكثرة مبغضيه ، حتّى أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يعرفه منهم بلحن القول ، مع علمهم بحبّه له وشدّة اختصاصه به ، ولذا لمّا قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجدوا الفرصة، فاتّفق عليه أكثر قريش وكثير من الأنصار. وهذه الأحاديث وإن لم تذكر نزول الآية ، لكنّها تؤيّد رواية أبي سعيد التي أشار إليها المصنّف ، ودلالتها على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ظاهرة ؛ لأنّ من كان حبّه إيمانا ، وبغضه نفاقا وكفرا ، لا بدّ أن يكون متّصفا بأصل من أصول الدين الذي يشترط في الإيمان الإقرار به ، إذ ليس المدار في الإيمان والنفاق على ذات الحبّ والبغض ، بل على ما يلزمهما عادة من الإقرار بخلافته المنصوصة وإنكارها ، فإنّ من أبغضه أنكر إمامته عادة ، فيكون بإظهار الإيمان منافقا ، ومن أحبّه قال بإمامته ، إذ لا داعي له لإنكارها بعد اتّضاح ثبوتها بالكتاب والسنّة . ولا ينافي المدّعى ما رواه القوم من أنّ حبّ الأنصار إيمان وبغضهم نفاق، فإنّه لو صحّ كان مفاده أنّ حبّهم وبغضهم إيمان ونفاق لنصرتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّ الأنصار وصف، وتعليق الحكم بالوصف مشعر بالحيثية . وهذا بخلاف تعليق الحكم بعليّ (عليه السلام)، فإنّه ليس لوصف النصرة ، بل لذاته الشريفة ، ويلزمه أنّ المنشأ هو الإمامة لا النصرة، وإلّا لعاد الأمر إلى الإيمان بالنبيّ وعدمه ، ولم يكن لعليّ دخل ، وهو خلاف ظاهر الحديث .

النجاة في حب الإمام علي(عليه السلام):

لا يخفى أن لكلام المعصوم(عليه السلام) مراتب ومنازل كما للقرآن مراتب ومنازل، كيف لا وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فانظر كيف أن النبي(صلى الله عليه وآله) جعل الارتباط والتواشج بين الإيمان وحب علي بن أبي طالب(عليه السلام)، فالإيمان عنوان الإنسان وصفته، وبه يحدد مصير الإنسان إما للسعادة بتحصيله وإما للشقاوة بعدمه، وكذا حب الوصي(عليه السلام) فهو أوضح مظاهر هذا الإيمان وعنوانه البارز الذي منه يتضح حال المسلم بشكل واضح هل هو من المؤمنين أو لا؟ فعنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب، وعنوان صحيفة الكافر المنافق بغض علي بن أبي طالب، فعن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (ألا إن هذا جبريل يخبرني عن ربي أن السعيد حق السعيد من أحب عليا في حياتي وبعد وفاتي ألا وإن الشقي حق الشقي من أبغض عليا في حياتي وبعد وفاتي) .

وهذا الأمر لشيوعه عن النبي (صلى الله عليه وآله) صار متداولا بين المسلمين منذ الصدر الأول للإسلام، فها هو جابر الأنصاري يجوب أزقة المدينة وهو يروي عن النبي(صلى الله عليه وآله) في هذا المعنى، فعن أبي الزبير المكي ، قال : رأيت جابرا متوكئا على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم، وهو يقول : علي خير البشر ، فمن أبى فقد كفر. يا معشر الأنصار ، أدبوا أولادكم على حب علي ، فمن أبى فانظروا في شأن أمه، (الأمالي الشيخ الصدوق، ص١٣٦). كما أن بعض المسلمين نظموا شعرا في ذلك حيث أورد القاضي النعمان(ت٣٦٣) في شرح الأخبار، ج١ قول الشاعر:

بحب علي تزول الشكوك
وتصفو النفوس ويزكو النجار
فمهما رأيت محبا له
فثم العلاء وثم الفخار
ومهما رأيت بغيضا له
ففي أصله نسب مستعار.

وقد روت كتب المسلمين من الفريقين روايات كثيرة في أن حب الإمام علي وأهل البيت(عليهم السلام) من الإيمان وبغضهم نفاق وكـــفر، ووصـــلت الى حد الاستفاضة، قال الشيخ محمد حسن المظفر في كتابه دلائل الصدق ج٤، ص٢١٥: ومنها : الأخبار الكثيرة التي ناطت الإيمان بحبّ آل محمّد (صلى الله عليه وآله) والكفر ببغضهم ، فإنّها كناية عن الاعتراف بإمامتهم وإنكارها ؛ للملازمة عادة بين حبّهم الحقيقي والاعتراف بفضلهم وبغضهم وإنكاره، ولا يراد الحبّ والبغض بنفسيهما ، إذ لا دخل لهما بماهيّة الإيمان والكفر، فلا بدّ أن يكونا كناية عن ذلك (أي الإمامة). فمن هذه الأخبار ما رواه الزمخشري في « الكشّاف » في تفسير قوله تعالى :❖ (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى) عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل قال فيه :« ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمنا ، . . . ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة ، . . . ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافرا ». ومثله عن تفسير الثعلبي. وروى في « كنز العمّال »، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، قال : « أساس الإسلام : حبّي وحبّ أهل بيتي ». وروى أيضا، عن ابن عبّاس : « أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ يوم المؤاخاة : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ ؟ ! ألا من أحبّك حقّ بالأمن والإيمان ، ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهليّة ». وروى أيضا عن الطبراني والحاكم في « المستدرك » وأبي نعيم ، عن زيد بن أرقم ، أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : « من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ عليّ بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة ». وروى بعده نحوه عن جماعة ، إلّا أنّه (صلى الله عليه وآله) قـــال : « فليتولّ عليّا وذرّيّته من بعده ، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولن يدخلوكم في باب ضلالة ». ويحتمل أن يريد النبيّ (صلى الله عليه وآله) فيه بتولّي عليّ الالتزام بولايته ، أي : إمامته ، فيكون دالّا على المطلوب بالصراحة ، ومثله تولّي أولاده في الحديث الأخير . إلى غير ذلك من الأحاديث المستفيضة .

والنتيجة فمن كان بغضه كفر وحبّه إيمان ، لا يكون إلا نبيّاً أو إماماً . وللكلام تتمة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين.

أهم مناسبات شهر ربيع الأول

أول هجوم على دار أمير المؤمنين(عليه السلام) لأخذ البيعة:

في الأول من شهر ربيع الأول سنة١١هـ وبعد دفن الجسد الطاهر للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبيعة الناس لأبي بكر كان أول هجوم على دار أمير المؤمنين(عليه السلام) لأخذ البيعة منه، وقد كان أمير المؤمنين آلى على نفسه أن لا يخرج من بيته حتى يجمع القرآن كما أمره رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولم يبايعهم.

روي عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: ـ وأوصى إليه بألف باب يفتح لكل باب ألف باب، وكل كلمة ألف كلمة ـ وقال: يا علي لا تخرج ثلاثة أيام حتى تؤلف كتاب الله كي لا يزيد فيه الشيطان شيئاً ولا ينقص منه شيئاً ـ فلم يضع علي ردائه على ظهره حتى جمع القرآن.

فلما أن كان من الليل حمل علي(عليه السلام) فاطمة(عليها السلام) على حمار وأخذ بيد ابنيه الحسن والحسين(عليهما السلام)، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين والأنصار إلا أتاه في منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقين رؤوسهم معهم سلاحهم ليبايعوا على الموت. فأصبحوا فلم يواف منهم أحد إلا أربعة، سلمان وأبو ذر والمقداد، والزبير.

خروج النبي(صلى الله عليه وآله) من الغار متوجهاً إلى المدينة:

في الليلة الرابعة من ربيع الأول كان خروج النبي(صلى الله عليه وآله) من الغار متوجهاً إلى المدينة، فأقام(صلى الله عليه وآله) بالغار – وهو جبل عظيم خارج مكة غير بعيد منها اسمه ثور – ثلاثة أيام وثلاث ليال، وسار منه فوصل المدينة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عند زوال الشمس.

هلاك المعتصم العباسي عليه لعنة الله:

في الثاني عشر من ربيع الأول سنة٢٢٧هـ، مات المعتصم العباسي بسر من رأى وله من العمر ٤٩ عاماً، وسمي بالخليفة المثمن، لأنه ثامن خلفاء بني العباس، ومولده سنة ١٧٨هـ، وولي الخلافة سنة ٢١٨هـ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

وكان المعتصم طاغياً، ظالماً، لا عهد له بالرأفة والرحمة، ومن أعظم جرائمه هو سقيه السم للإمام الجواد(عليه السلام)، فكان سبباً لشهادته(عليه السلام).

هلاك يزيد بن معاوية عليه لعنة الله:

في الرابع عشر من ربيع الأول سنة٦٤هـ، هَلك يزيد بن معاوية لعنه الله وأخزاه، وكان عمره ٣٧ أو ٣٩ سنة، وكان بين مقتل الحسين(عليه السلام)، وهلاك يزيد ثلاث سنين وشهور. وقيل: إن هلاكه كان في النصف من هذا الشهر.

وأم يزيد ميسون بنت بجدل الكلبية، نصرانية، كانت كثيراً ما تصطحبه إلى البادية حيث تقيم قبيلتها، وهناك شرب الخمر وانغمس في اللذات وأخذ منها ما شاء له هواه وفسقه، وقد كانوا يسمونه يزيد القرود، ويزيد الخمور.

وكان معاوية تزوج ميسون، ثم طلقها وهي حامل بيزيد.

وعقد معاوية لابنه يزيد ولاية العهدفقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق.

وقد انتهك من حرمات الله في مدة ولايته القصيرة بعد أبيه ما لم ينتهكه غيره من خلفاء الظلم والجور، ويكفيه خزياً وعاراً أنه أمر بقتل سيد شباب أهل الجنة ومن معه من أخوته وأولاده وأبناء عمومته، وسبيه نساءه وأخواته وأهل بيته على أقتاب الإبل يسيرون بهن من بلد إلى بلد.

وكذلك ما فعله بحرم رسول الله المدينة في واقعة الحرة من قتل النفوس وإراقة الدماء وهتك الأعراض، ومن بعد ذلك كله محاصرة الكعبة وضربها بالمنجنيق وإحراقهاولو أنه بقي حياً لفعل الكثير من تلك الجرائم، ولكن الله قصم عمره ولم يطل في مدته.

وقد جوز جمع من أهل السنة ومنهم أحمد بن حنبل لعن يزيد بن معاوية، ومنهم من أعتقد بكفره، حتى إن ابن الجوزي صنف كتاباً أسماه: (الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد) قال في أوله: (يسألني سائل في بعض مجالس الوعظ عن يزيد بن معاوية، وما فعل بحق الحسين، وما أمر به من نهب المدينة، فقال لي: أيجوز أن يلعن؟ فقلت: يكفيه ما فيه، والسكوت أصلح. فقال: قد علمت أن السكوت أصلح، ولكن هل تجوز لعنه؟ فقلت: قد أجازها العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل).

وفاة موسى الهادي العباسي وولادة المأمون:

في الرابع عشر (وقيل: في ١٥ أو ١٨) سنة١٧٠هـ، مات موسى الهادي العباسي، فبويع بعده أخوه هارون، وفيه أيضاً ولد المأمون في نفس الليلة.

وكانت خلافته سنةً وشهراً وخمسة وعشرين يوماً وفي مدته كانت (واقعة فخ) التي قتل فيها الحسين بن علي بن الحسن المثنى صاحب فخ وأصحابه.

ثم صنع مثل ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، واخذ من الطالبين، وجعل ينال منهم.

وأخذ يضيق على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حتى انه (عليه السلام) أخبر أصحابه وأهل بيته انه: بينما أنا جالس في مصلاي بعد فراغي من وردي وقد تنومت عيناي، إذ سنح جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله) في منامي، فشكوت إليه موسى بن المهدي وذكرت ما جرى منه في أهل بيته وأنا مشفق من غوائله، فقال لي: لتطب نفساً يا موسى، فما جعل الله لموسى عليك سبيلاً، فبينما هو يحدثني إذ أخذ بيدي وقال لي: قد أهلك الله آنفاً عدوك، فليحسن الله شكرك.

قال: ثم قمنا إلى الصلاة وتفرق القوم، فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى بن المهدي والبيعة لهارون.

ولادة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله):

في السابع عشر من ربيع الأول ولد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عند طلوع الفجر من يوم الجمعة في عام الفيل.

قال الشيخ المفيد: وهو يوم شريف، عظيم البركة، ولم يزل الصالحون من آل محمد(صلى الله عليه وآله) على قديم الأوقات يعظمونه ويعرفون حقه، ويرعون حرمته، ويتطوعون بقيامه.

اسمه الشريف محمد(صلى الله عليه وآله)، وكنيته أبو القاسم، واسم أبيه عبد الله، واسم أمه آمنة بنت وهب.

وعن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: (لما وُلد رسول الله(صلى الله عليه وآله) فتح لآمنة بياض فارس، وقصور الشام، فجائت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب مستبشرة فأعلمته ما قالته آمنة، فقال لها أبو طالب: وتعجبين من هذا؟ إنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره).

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: (لما ولد رسول الله(صلى الله عليه وآله) القيت الأصنام في الكعبة على وجوهها، فلما أمسى سمع صيحة من السماء: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).

وروي أن النبي(صلى الله عليه وآله) ولد مختوناً مسروراً، فحكي ذلك عند جده عبد المطلب، فقال: ليكونن لابني هذا شأن.

ومن خصائصه(صلى الله عليه وآله)، وهي قسمان:

(الأول): في النكاح، وهو أمور، منها:

الأول: تحريم زوجاته من بعده على غيره، بقوله تعالى: (ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً).

الثاني: أن أزواجه أمهات المؤمنين، سواء فيه من ماتت تحت النبي(صلى الله عليه وآله)، ومن مات النبي(صلى الله عليه وآله) وهي تحته.

الثالث: تخصيص زوجاته بأن جعل ثوابهن وعقابهن على الضعف.

الرابع: لا يحل لغير محارمهن من الرجال أن يسألهن شيئاً إلا من وراء حجاب، لقوله تعالى: (إذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب). وأما غيرهن فيجوز أن يسألن مشافهة.

(الثاني): في غير النكاح وهي أمور، منها:

الأول: أنه خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله).

الثاني: أن آل بيته خير الأمم، لقوله تعالى: (كنتم خير أُمّةٍ أُخرجت للناس) تكرمة له(صلى الله عليه وآله).

الثالث: نسخ جميع الشرائع بشريعته.

الرابع: جعل شريعته مؤبدة.

الخامس: جعل كتابه معجزاً بخلاف كتب سائر الأنبياء(عليهم السلام).

السادس: حفظ كتابه من التبديل والتحريف، وأقيم بعده حجة على الناس، ومعجزات غيره انقرضت بانقراضهم.

السابع: نصر بالرعب على مسيرة شهر، فكان العدو يرهبه من مسيرة شهر.

الثامن: جعلت له الأرض مسجداً، وترابها طهوراً.

التاسع: أُحلت له الغنائم دون غيره من الأنبياء(عليهم السلام).

العاشر: يشفع في أهل الكبائر، لقوله(صلى الله عليه وآله): (ذخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).

الحادي عشر: بُعث إلى الناس كافة.

الثاني عشر: سيد ولد آدم إلى يوم القيامة.

الثالث عشر: أوّل من تنشق عنه الأرض.

الرابع عشر: أوّل شافع ومشفع.

الخامس عشر: أول من يقرع باب الجنة.

السادس عشر: أكثر الأنبياء تبعاً.

السابع عشر: تنام عينه ولا ينام قلبه.

الثامن عشر: كان يرى من وراءه كما يرى من قدامه، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله): (تنام عيناي ولا ينام قلبي).

وقد روي في سيرته وفضائله ومعجزاته(صلى الله عليه وآله) ما ملأ كتب التاريخ والسيرة، وكفاه فضلاً أنه سيد ولد آدم من الأولين والآخرين.

وهناك مناسبات كثيرة ومهمة قد تم ذكرها في السنتين السابقتين لشهر ربيع الأول فمن أراد الاطلاع فليراجع.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أنا من رسول الله كالضوء من الضوء).

مناسبات الشهر

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقه:
(رحمه الله، جاهد عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة)

اسمه وكنيته ونسبه:
عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي.

ولادته:
لم تُحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ومكانها، إلّا أنّه من أعلام القرن الأوّل الهجري.

صحبته:
كان (رضي الله عنه) من أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله)، والإمام علي(عليه السلام).

جوانب من حياته:
❖ اشترك مع النبي(صلى الله عليه وآله) في معركة حنين والطائف وتبوك.
❖ أرسله النبي (صلى الله عليه وآله) مع أخويه عبد الرحمن ومحمّد إلى اليمن؛ ليفقّهوا أهلها ويعلّموهم الدين. رجال ابن داوود لتقي الدين الحلي:ص١١٧.
❖ عدّه الشيخ المفيد (قدس سره) من المجمعين على خلافة علي(عليه السلام) وإمامته بعد قتل عثمان. الجمل للشيخ المفيد:ص٥٢.
❖ كان من الصحابة الذين قاموا وشهدوا على أنّهم سمعوا رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول يوم غدير خُم: مَن كنت مولاه فعلي مولاه. رجال الكشّي للشيخ الطوسي:ج١،ص٢٤٦.
❖ اشترك مع الإمام علي(عليه السلام) في حربي الجمل وصفّين، وكان فيها من قادة الجيش. رجال الكشي للشيخ الطوسي:ج١،ص٢٨٦.

من أقوال العلماء فيه:
١. قال الفضل بن شاذان النيشابوري: فمن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم جندب ابن زهير قاتل الساحر، وعبد الله بن بُديل، وحجر بن عدي، وسليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وعلقمة والأشتر، وسعيد بن قيس، واشباههم كثير، أفناهم الحرب ثم كثروا بعد، حتى قتلوا مع الحسين عليه السلام وبعده. رجال الكشي للشيخ الطوسي: ج١،ص٢٨٦.

وقال السيد الخوئي (قدس سره): الظاهر أن الفضل أراد بقوله: ومن التابعين من تابع علياً وشايعه، والقرينة على ذلك قوله: أفناهم الحرب ثم كثروا بعد حتى قتلوا مع الحسين (عليه السلام) وبعده، وإلا فهو من الصحابة، كما ذكره الشيخ الطوسي- قدس سره -. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١١،ص١٢٦.

٢. قال السيّد علي خان المدني(قدس سره): «أسلم مع أبيه يوم الفتح أو قبله، وكانا سيّدي خزاعة، وعيبة النبي(صلى الله عليه وآله)... وكان رفيع القدر ورفيع الشأن... من أصفياء أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلّص أصحابه». الدرجات الرفيعة للسيد علي خان: ص٤١٩

كلامه للإمام علي(عليه السلام) يوم صفّين:
خاطب (رضي الله عنه) الإمام علي(عليه السلام)يوم صفّين قبل القتال بقوله: «يا أمير المؤمنين، إنّ القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون، ما خالفونا، ولكن القوم إنّما يقاتلون فراراً من الأسوة، وحبّاً للأثرة، وضناً بسلطانهم، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحن في أنفسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة، قتلت فيها أباءهم وإخوانهم». وقعة صفين ابن مزاحم المنقري:ص١٠٢.

خطابه للجيش: خاطب (رضي الله عنه) عسكر الإمام علي(عليه السلام) يوم صفّين بقوله: (إنّ معاوية أدّعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومَن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزّين لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حبّ الفتنة، ولبس عليهم الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم، وأنتم والله على نور من ربّكم وبرهان مبين.

قاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم، وكيف تخشونهم وفي أيديكم كتاب من ربّكم ظاهر مبروز؟! (...أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ❖ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ). سورة التوبة:آية ١٣و١٤.

وقد قاتلتهم مع النبي(صلى الله عليه وآله)، والله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبر، قوموا إلى عدوّ الله وعدوّكم». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٥، ص١٨٦.

وصية عبد الله بن بُديل للأسود بن طهمان
(أوصيك بتقوى الله، وأن تتناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتى يظهر الحق أو تلحق بالله ... وأبلغ أمير المؤمنين عني السلام)

خروجه لمبارزة القوم:
خرج(رضي الله عنه) إلى ميدان القتال وهو يقول:

لم يبق إلّا الصبر والتوكّل
وأخذك الترس وسيفاً مقصل
ثمّ التمشي في الرعيل الأوّل
مشي الجمال في حياض المنهل

والله يقضي ما يشاء ويفعل.

وقعة صفين ابن مزاحم المنقري:ص٢٤٥.

وبعدما قتل جمعاً من الجيش أحاطوا به من كلّ صوب وحدب، وأردوه قتيلاً.

وصيّته عند الموت:
عن عبيد الرحمن بن كعب، قال: لما قتل عبد الله بن بُديل يوم صفين مر به الأسود بن طهمان الخزاعي، وهو بآخر رمق، فقال له: عز علي والله مصرعك ! أما والله لو شهدتك لآسيتك، ولدافعت عنك، ولو رأيت الذي أشعرك لأحببت إلا أزايله ولا يزايلني حتى أقتله، أو يلحقني بك . ثم نزل إليه، فقال: رحمك الله يا عبد الله والله إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيرا ، أوصني رحمك الله .

قال(رضي الله عنه): «أُوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وتقاتل معه حتّى يظهر الحق أو تلحق بالله، وأبلغ أمير المؤمنين عنّي السلام... فأقبل أبو الأسود إلى علي(عليه السلام)، فأخبره، فقال(عليه السلام): رحمه الله، جاهد معنا عدوّنا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨، ص٩٣.

شهادته (رضي الله عنه):
استُشهد(رضي الله عنه) في شهر صفر ٣٧ بحرب صفّين، ودُفن في منطقة صفّين.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أنا صاحب علمه والمفني عنه غمه).

الإســـــلام دين تجمّع وألفة:

الأصل في دين الإسلام أنه دينُ تجمّع وألفة، لا دين عزلة وفرار من تكاليف الحياة، ولم يأت القرآن ليدعو المسلمين إلى الانقطاع في دير، أو العبادة في صومعة، بعيداً عن مشاكل الحياة ومتطلباتها، بل إنّ نزعة التعرّف إلى الناس والاختلاط بهم أصيلة في تعاليم هذا الدين، فقد بين الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّ الفضل لمن خالط الآخرين وتعرَّف عليهم ولم يتوقع على نفسه، وذلك في قوله(صلى الله عليه وآله): (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظمُ أجراً من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم). كنز العمال للمتقي الهندي:ج١،ص١٤٢.

والإسلام يبغض العزلة التامة عن الناس مهما كانت مبرراتها، عبادية أو غيرها، فلا رهبانية في الإسلام كما هو معروف، ومن الشواهد النقلية على ذلك أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقد رجلا، فسأل عنه فجاء، فقال: يا رسول الله إني أردت أن آتي هذا الجبل فأخلو فيه فأتعبد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لصبر أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته خالياً أربعين سنة) ميزان الحكمة محمد الريشهري:ج٣،ص١٩٦٦، وعلى ضوء ذلك فهناك مواطن تتطلب من الفرد أن ينظم إلى الجماعة وأن ينصهر بها، كمواطن الجهاد، وحضور الجماعة في المساجد، والدراسة في مراكز التعليم المختلفة وغيرها.

والحقيقة أنَّ أدب التعامل مع الآخرين له مفهوم شامل، يتسع اتساع العلاقات الإنسانية بين بني البشر، والروابط التي تجمع بين الناس كثيرة، فمن رابطة الدم، إلى رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصحبة، ورابطة الجنس والعرق، والرابطة التجارية والاقتصادية، ورابطة العقيدة التي تُعدّ من أقوى الروابط وأمتنها. ولكن قوّة رابطة العقيدة، لا تعني أنّ أدب التعامل مع الآخرين لا يدور إلا في نطاقها، ولا يشمل التعامل مع أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين، بل إنّ أدب التعامل يتسع ليشمل الإنسانية كلها.

ولابّد لنا في هذا السياق من التفريق بين أدب التعامل مع الآخرين وبين الولاء لهم، فإنّ الولاء هو المحبة والنصرة وهذه لا تكون إلا بين المسلمين، ولكن التبرؤ من أعداء الله لا يعني الإساءة في معاملتهم، أو أكل حقوقهم، أو سبّهم والفحش معهم في القول، أو عدم ملاطفتهم، فالولاء هو سلوك الباطن، والمحبة القلبية، وما يترتب على ذلك من نصرة وإعانة، أما التعامل الحسن؛ فهو سلوك الجوارح والعلاقة الظاهرية، والأول: (المحبة القلبية) قد حُصر على المسلمين، أما الثاني:(العلاقة الظاهرية) فهو مع المسلمين ومع غيرهم، ولعل ما ورد في سورة الممتحنة، هو من أوضح الآيات التي تميز بين الولاء وبين البرّ وحُسن التعامل، يقول الله تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ❖ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) سورة الممتحنة: آية ٨ -٩، فقضية التعامل مع الآخرين هي قضية بالغة الأهمية والخطورة، وقد جعل الإسلام الإلتزام بالدين في قسم كبير منه، متوقف على الأدب وحسنُ المعاملة. ومن منطلق هذه الأهمية، جاء القرآن الكريم ليضع لنا المناهج القويمة والأسس السليمة للتعامل مع الآخرين باعتباره موضوعاً أساسياً من موضوعات هذا الدين، فقد أصّل القرآن الكريم لأدب التعامل مع الآخرين وأقامه على مجموعة من القواعد والفنون، التي نضمن من خلالها نتائج إيجابية وحسنة في العلاقات الإنسانية، وهذه القواعد والفنون كثيرة ومتنوعة، وليس من موضوعنا الحديث فيها، غير أنّ هناك قاعدة قرآنية تُعدُّ أصلا تتفرع عنه كل قواعد التعامل مع الآخرين، هذه القاعدة هي «حُسْنُ الخُلق»، إذ لا نجاح ولا توفيق في التعامل مع الآخرين دون هذا الأصل المتين، ومن هنا فقد مدح الله تعالى نبيه بهذه الصفة، فقال عنه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم: آية ٤، فحُسْنُ الخُلق أصّل في أدب التعامل، وتتفرع عنه سلوكيات كثيرة، ومن أهم السلوكيات المترتبة على حُسن الخُلق، أن صفات الشخص الذي يوصف بحسن الخُلق أنه يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الإصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، بَرّاً وصولاً، وقوراً صبوراً، شكوراً رضيّاً، حليماً رفيقاً، عفيفاً شفيقاً، لا لعّاناً ولا سبّاباً، ولا نمّاماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حُسن الخلق.

وبصورة عامة، فإنّ الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الناس هو الأسلوب الأمثل والأحسن، وهو الأسلوب الذي يعود بانعكاسات إيجابية على العلاقات الإنسانية. ولا يزال المسلم الحق الملتزم بدينه، المحافظ على أخلاقه الإسلامية، قدوة حسنة بين الناس، يحبه كل من يخالطه، ويُسَرُّ له كل من يجالسه. تخلقه بآداب الإسلام ومكارم الأخلاق جعل منه نموذجاً حياً للشخصية الاجتماعية الرّاقية المهذبة النقية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إني لا أحثكم على طاعة الله إلا وأسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية الله إلا وأنتهي قبلكم عنها).

الأسرة الخلية الأولى للمجتمع: ج٣

مسؤولية أفراد الأسرة في الإسلام:

إذا منيت الأسرة بعدم الانسجام والاضطراب فإن أفرادها يصابون بآلام نفسية، واضطرابات عصبية، وخصوصاً الأطفال فإنهم يمنون بفقدان السلوك والانحراف، وقد أظهرت الدراسات والبحوث التربوية الحديثة أن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأحداث هو اضطراب الأسرة وعدم استقرارها فتنشأ منه الأزمات التي تؤدي إلى انحرافهم.

لذا من اللازم الحفاظ على استقرار الأسرة، وإبعادها عن جميع عوامل القلق والاضطراب حفاظاً على الأحداث، وصيانة لهم من الشذوذ والانحراف.

مسؤوليات الأب:

الأب ليس مسؤولاً عن الحياة الاقتصادية وتوفيرها لأبنائه فحسب، وإنما هو مسؤول عن تربيتهم، وتهذيبهم، وتأديبهم، وتوجيههم الوجهة الصالحة، وأن يعوّدهم على العادات الطيبة، ويحذرهم من العادات السيئة، يقول الإمام زين العابدين(عليه السلام): (وأما حق ولدك، فتعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك، وفي نفسه، فمثاب على ذلك، ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذرة إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه..). تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٦٣.

وكان هذا الإمام العظيم(عليه السلام) يدعو لولده بهذا الدعاء: (اللهم.. واجْعَلْهُمْ أَبْرَارا أَتْقِيَاءَ بُصَرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ، وَلأَوْلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ، ولجميع أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ وَمُبْغِضِينَ، آمِينَ) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين - عليه السلام -: ص١٢٠.

إن الأب مسؤول عن تربية أبنائه تربية صالحة ليكونوا قرّة عين له في مستقبله، وكان أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يعنون بهذه الجهة ويولونها المزيد من الاهتمام، يقول الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) لولده الإمام الحسن(عليه السلام): (وجدتُك بعضي بل وجدتك كلّي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي..) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٦٨.

إن الولد ليس بعضاً من الأب بل هو نفسه يحكي وجوده وكيانه، فعليه أن يهتم بشؤونه التربوية، وأن يعنى في تهذيبه، وكماله ليكون فخراً وزيناً له، أما إذا أهمل تربيته، ولم يعن بشؤونه يغدو نقمة ووبالاً عليه..

ونعرض فيما يلي إلى بعض مسؤوليات الأب:

١. العناية بالأبناء: على الأب أن يُعنى أشد العناية بأبنائه، وأن يوليهم المزيد من اهتمامه ويغدق عليهم العطف والحنان، ويقوم بتكريمهم أمام الغير فإن لذلك أثره الفعال في بناء كيانهم التربوي، وازدهار شخصيتهم ونموهم الفكري وعلى هذا الأساس الخلاق كان النبي (صلى الله عليه وآله) يرعى سبطيه وريحانتيه الحسن والحسين، فكان يحملهما ويقول: (هذان ريحانتاي من الدنيا، من أحبني فليحبهما..) بحار الأنوار للمجلسي: ج٣٧، ص٧٥، وكان يقول (صلى الله عليه وآله) لبضعته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهـــراء (عليها السلام): (ادعي ابني، فتأتي بهما إليه فيشمهما ويضمهما) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص١٥٣.

٢. المساواة بينهم: وينبغي للأب أن يغمر جميع أولاده بالحب ويساوي بينهم بالحنان، والعطف والرعاية، فإن اختصاص بعضهم بذلك، وحرمان الباقين منه مما يؤدي إلى العقد النفسية، والغيرة والحفيظة، ونشوب الثورات الانفعالية في نفوسهم، كما تجعلهم عرضة للإصابة بأمراض عصبية خطيرة.

وحكى القرآن الكريم قصة يوسف حينما آثره أبوه يعقوب(عليه السلام)، وميّزه على بقية أبنائه فأجمع رأيهم على الكيد له، فألقوه في غيابة الجب، (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) سورة يوسف: آية١٦، فحزن عليه يعقوب (عليه السلام) (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) سورة يوسف:آية٨٤، وهذه المحنة الكبرى التي دهمته كانت نتيجة الأثرة، وتقديمه ليوسف على أخوته، وقد أثر عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال: (اعدلوا بين أولادكم في السر، كما تحبون أن يعدل بينكم في البر واللطف) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي: ص٢٢٠.

٣. إشاعة الود: على الأب أن يغمر بيته بالود والعطف، ويشيع بين أهله الحب والحنان، وأن يقابل خصوص زوجته بالإحسان، ويوفر لها ما تحتاج إليه فإن ذلك - أولاً - من حقوقها الطبيعية التي فرضها الله - وثانياً - أنه يبعث على التربية الصحيحة للطفل وازدهار شخصيته، لأنه يعيش في جو من الحب والدعة والاستقرار... وحث الإسلام على مراعاة الزوجة، يقول الرســـول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) وسائل الشيعـــة للحر العاملي: ج٢٠، ص١٧١، وقال(صلى الله عليه وآله): (عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله عز وجل أحسنهم صنيعا إلى أسرائه) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج٣، ص٥٥٥.

٤. اجتناب فحش القول: والأب باعتباره عميد الأسرة فهو مسؤول عن إقامة الكيان التربوي فيها، وعليه أن يجتنب فحش القول، وبذاءة الكلام، وكل ما يخل بالآداب العامة، وإن يقيم في بيته العفة والطهارة، ويجنب أهله المنكر وسيئ القول فإن كلامه وسيرته تنفذ إلى أعماق قلوب أبنائه، وتتطبع فيها سيرته وأخلاقه.

إن الطفل لا ينشأ نشأة سليمة، وهو يشاهد أبويه يفعلان المنكر، ويقترفان الإثم، وإن الأب الذي يكذب ويطلب من طفله أن يكون صادقا فإنه لا ينصاع لقوله، وإنما يتبع عمله وسيرته ... على الأب إذا أراد أبناءه أن يكونوا قرّة عين له في مستقبله فعليه أن يطبق على واقع حياته الصفات الكريمة وأن يسير سيرة طيبة ليكون قدوة حسنة لأهله وغيرهم. كما توجد مسؤليات أكثر من تلك التي ذكرناها للأب كتأديب الأطفال ، وابعادهم عن تناول الحرام، ومراقبة سلوكهم . وللكلام تتمة إن شاء الله تعالى.

قصّة موسى (عليه السلام) وابنتَي شعيب: ج٢

موسى (عليه السلام) في بيت شعيب (عليه السلام):

لا زال الكلام في قصة موسى عليه السلام وابنتَي شعيب عليه السلام.....

رجوع الفتاتين بسرعة إلى أبيهما خلاف ما اعتادتا عليه كل يوم آثار استغرابه فقصتا عليه قصة الشاب الشهم الذي ساعدهما بلا مقابل؛ لذا بعث إحدى ابنتيه لتستدعيه، فجاءت تخطو بخطوات ملؤها الحياء والعفة، ما أجمله من وصف، فكأنها من شدة حيائها لم تمش على قدميها بل على حيائها ! وجاءت كلمة (استحياء) بصيغة التكبير للتفخيم، وقيل إنها كانت تمشي عادلة عن الطريق، يقول القرآن الكريم: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) سورة القصص: آية٢٥، كان يبدو عليها بوضوح أنّها تستحي من الكلام مع شاب غريب اضطرتها الظروف للحديث معه مرتين؛ فكانت معرضة في الكلام كما تفعل كل حرة تتصف بالحياء ولم تزد الكلام على جملة واحدة: (.. قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا..) سورة القصص: آية ٢٥.

جملة (لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) جعلت موسى(عليه السلام) يتردد في الذهاب معها وكره ذلك لأنه لا يحب أن يتلقى أجراً على معروف قام به بدافع الشهامة وطلباً للأجر، ولكنه فكر في وضعه وهو غريب جائع وفي بلدة ليس له فيها مأوى، ولابد أن هذا الرجل الذي يريد مجازاة من قدّم له خدمة - ولو صغيرة - لابد أنه رجل منصف وكريم.

وفي الطريق إلى البيت كانت الفتاة تسير أمام موسى، وكان الهواء يحرّك ثيابها وربّما انكشف ثوبها عنها، ولكن موسى لما عنده من عفة وحياء طلب منها أن تمشي خلفه وأن يسير هو أمامها، فإذا ما وصلا إلى مفترق طرق تدله وتخبره من أي طريق يمضي، تقول الروايات أنه قال لها: (وجهيني إلى الطريق وامشي خلفي فإنا بني يعقوب لا ننظر في أعجاز النساء) بحار الأنوار للمجلسي: ج١٣، ص٤١.

ولأن صنائع المعروف لا تضيع عند الله، فإن العمل الصغير الذي قام به موسى (عليه السلام) فتح له فصلاً جديداً، وهيأ له عالماً عجيباً من البركات المادية والمعنوية، وأدخله ضيفاً في بيت نبي من أنبياء الله تعالى، منزل شعيب (عليه السلام) المنزل الذي يسطع منه نور النبوّة، ومن خلال الحوار الذي دار بينهما عرف النبي شعيب -عليه السلام- قصة موسى وما الذي أوصله إلى مدين، يقول القرآن في هذا الصدد: (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) سورة القصص: آية٢٥، فأرضنا بعيدة عن سيطرة الظالمين وسطوتهم ولا تصل أيديهم إلينا، فلا تقلق ولا تشعر بالوحشة، فأنت في مكان آمن .

الحياء لا يأتي إلا بخير:

قوة موسى -عليه السلام- وعفته وأمانته لفتت نظر إحدى ابنتي شعيب -عليه السلام- ؛ لاحظت قوته وهو يُنحّي الرعاء عن البئر ويملأ القربة الثقيلة وحده ويطالب بحق المظلوم، وأمّا أمانته فقد اتّضحت لها منذ أن سارت أمامه إلى بيت أبيها، فطلب منها أن تتأخر ويتقدمها، لئلا تضرب الريح ثيابها لذا بادرت أباها بالقول وبعبارة موجزة: إنني أقترح أن تستأجره (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) سورة القصص: آية ٢٦.

هذه البنت التي تربّت في حجر النّبوة تحدّثت ببساطة، وبلا تكلف واصطناع وبأقل العبارات، إن الحياء لم يمنعها من أن تقترح اقتراحا ذكياً فيه مصلحتها ومصلحة عائلتها، فالحياء في بعض الموارد يكون سلبياً ؛ فعن الإمام علي عليه السلام: (الحياء يمنع الرزق) ميزان الحكمة محمد الريشهري: ج١،ص٧١٨، فلو لم تتكلم ابنة شعيب (عليه السلام) في الوقت المناسب لما حظيت بزوج نبي من أنبياء أولي العزم .

وافق شعيب (عليه السلام) على اقتراح ابنته، وتوجه إلى موسى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) سورة القصص: آية٢٧.

وبهذه البساطة التي تعبر عن الإيمان والتواضع والقناعة، أصبح موسى (عليه السلام) صهراً لشعيب، فليس معيباً عندما يجد الأب شخصا لائقاً وجديراً أن يقترح عليه الزواج من ابنته.

من هذه القصة الجميلة والمؤثرة نستخلص دروساً كثيرة، أهمها إن المرأة إذا اضطرتها الظروف للعمل بجوّ فيه اختلاط مع الرجال الأجانب يمكنها أن تحافظ على حيائها وعفتها، وتراقب كلامها ومشيتها وسائر تصرفاتها، فلا تزاحم الغرباء، ولا تطيل معهم الكلام بل تتكلم باختصار وبما يفي بالغرض ومن دون ميوعة وإيحاءات باطلة وكما يقول القرآن: (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ..) سورة الأحزاب: آية ٣٢، هكذا يعلمنا القرآن بقصصه المليئة بالدروس والعبر، وكما وصفها الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) سورة يوسف: آية ١١١.

لم أكفّ أبداً عن تعظيم العلماء وإجلالهم:

سُئِل الشيخُ الجليل والعالم المفضال الوحيدُ البهبهاني (قدس سره) : بِمَ بلغتَ هذا المقام العلمي، والعزة، والشرف، والإذعان، من الآخرين؟

فكتب في الجواب: أنا لا أعتبر نفسي شيئاً أبداً، ولا أعدُّ نفسي في مستوى العلماء الموجودين.. ولعل الذي أوصلني إلى هذا المقام، وهو أنني لم أكفّ أبداً عن تعظيم العلماء وإجلالهم، وذكر أسمائهم بالخير.. وأني لم أترك الدراسة في أي وقت ما استطعت ذلك، وكنت أقدمها دائماً على سائر الأعمال.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته) ميزان الحكمة محمد الريشهري: ج٣، ص٢٠٨٨.

وعن الإمام علي (عليه السلام): (إنما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقى، والزهد في عالم الفناء، والتوله بجنة المأوى) ميزان الحكمة محمد الريشهري: ج٣، ص٢٠٨٨.

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

كان هناك ساقٍ اسمه محمد، يبيع الماء للناس وهو يتجول بجرته الطينية في الأسواق، وقد أحبه كل الناس لحسن خلقه ولنظافته... ذات يوم سمع الملك بهذا الساقي فقال لوزيره: اذهب وأحضر لي محمدا الساقي.

ذهب الوزير ليبحث عنه في الأسواق إلى أن وجده وأتى به إلى الملك، قال الملك لمحمد: من اليوم فصاعداً لا عمل لك خارج هذا القصر، ستعمل هنا في قصري تسقي ضيوفي وتجلس بجانبي تحكي لي طرائفك التي اشتهرت بها.. قال محمد: السمع والطاعة. عاد محمد إلى زوجته يبشرها بالخبر السعيد وبالغنى القادم.

وفي الغد لبس محمد أحسن ما عنده وغسل جرته وقصد قصر الملك، دخل الديوان الذي كان مليئا بالضيوف وبدأ بتوزيع الماء عليهم، وكان حين ينتهي يجلس بجانب الملك ليحكي له الحكايات والطرائف المضحكة، وفي نهاية اليوم يقبض ثمن تعبه ويغادر إلى بيته. بقي الحال على ما هو عليه مدة من الزمن، إلى أن جاء يوم شعر فيه الوزير بالغيرة من محمد، بسبب المكانة التي احتلها من قلب الملك، وفي الغد حين كان الساقي عائدا إلى بيته تبعه الوزير وقال له: يا محمد إن الملك يشتكي من رائحة فمك الكريهة.

تفاجأ الساقي وسأله: وماذا أفعل حتى لا أؤديه برائحة فمي؟ فقال الوزير: عليك أن تضع لثاما حول فمك عندما تأتي إلى القصر.

قال محمد: حسنا سأفعل، عندما أشرق الصباح وضع الساقي لثاما حول فمه وحمل جرته واتجه إلى القصر كعادته. فاستغرب الملك منه ذلك لكنه لم يعلق عليه، بل سأل وزيره عن سبب وضع محمد للثام، فقال الوزير: أخاف يا سيدي إن أخبرتك قطعت رأسي، فقال الملك: لك مني الأمان فقل ما عندك.

قال الوزير: لقد اشتكى محمد الساقي من رائحة فمك الكريهة يا سيدي.

أرعد الملك وأربد وذهب عند زوجته فأخبرها بالخبر، قالت: من سولت له نفسه قول هذا غدا يقطع رأسه ويكون عبرة لكل من سولت له نفسه الانتقاص منك. قال لها: ونعم الرأي.

وفي الغد استدعى الملك الجلاد وقال له: من رأيته خرج من باب قصري حاملا باقة من الورد فاقطع رأسه.

وحضر الساقي كعادته في الصباح وقام بتوزيع الماء وحين حانت لحظة ذهابه أعطاه الملك باقة من الورد هدية له، وعندما هم بالخروج التقى الساقي بالوزير فقال له الوزير: من أعطاك هذه الورود؟ قال محمد: الملك.

فقال له: أعطني إياه أنا أحق به منك، فأعطاه الساقي الباقة وانصرف، وعندما خرج الوزير رآه الجلاد حاملا لباقة الورد فقطع رأسه.

وفي الغد حضر الساقي كعادته دائما ملثما حاملا جرته وبدأ بتوزيع الماء على الحاضرين، استغرب الملك رؤيته لظنه أنه ميت، فنادى عليه وسأله: ما حكايتك مع هذا اللثام؟

قال محمد: لقد أخبرني وزيرك يا سيدي أنك تشتكي من رائحة فمي الكريهة وأمرني بوضع لثام على فمي كي لا تتأذى.

سأله مرة أخرى: وباقة الورد التي أعطيتك؟

قال محمد: أخذها الوزير فقد قال أنه هو أحق بها مني.

فابتسم الملك وقال حقا هو أحق بها منك، وحسن النية مع الضغينة لا تلتقيان.

عندما تكون نقياً من الداخل، يمنحك الله نوراً من حيث لا تعلم، يحبك الناس من حيث لا تعلم، وتأتيك مطالبك من حيث لا تعلم، صاحب النية الطيبة هو من يتمنى الخير للجميع دون استثناء، فسعادة الآخرين لن تؤخذ من سعادتك، وغناهم لن ينقص من رزقك، وصحتهم لن تسلبك عافيتك، واجتماعاتهم بأحبتهم لن يفقدك أحبابك.

دائما كن الشخص الذي يمتلك النية الطيبة.

المفكرة العلوية

2016 | ١٤٣٧هـ ١٤٣٨هـ

مفكـرة إسلاميـة ثقافيـة
تصـدر عـن شعبـة التبليـغ فـي قسـم الشـؤون الـدينيـة
أعلام الدفناء ▪ وقائع الأيام ▪ وقفات فقهية